الحرب على إيران ما بين سياسة قطع الرأس وسياسة تفكيك الأوصال اختبار المؤسساتية

كيف تعيد إيران وحزب الله إنتاج القيادة في ظل «استراتيجية قطع الرأس»؟

الدكتور حسين راغب الحسين

رئيس مجلس الامناء في مركز الإصلاح للدراسات و البحوث الاستراتيجية

مؤسسة إنكي للدراسات والبحوث
Enki Foundation for Studies and Research

مقدمة: المنظور الغربي ومعضلة «الرجل الواحد»

تستند الاستراتيجية الغربية، ولا سيما في عهد إدارة ترامب والتوجهات الإسرائيلية الحالية، إلى فرضية سياسية مفادها أن القوى المناهضة لها في الشرق الأوسط هي «هياكل كاريزمية» ترتبط وجوداً وعدماً بوجود قياداتها الدينية والعسكرية. تنطلق هذه الرؤية من قناعة بأن استهداف «الرأس» سيؤدي حتماً إلى تداعي «الجسد» التنظيمي، وتحويل الدولة أو المنظمة إلى حالة من الشلل الوظيفي.

إلا أن القراءة المعمقة لمسار الصراع وتاريخ المواجهات تكشف عن فجوة بين هذا التصور الغربي وبين الواقع البنيوي لكل من إيران وحزب الله، حيث أثبتت التجربة أننا أمام «نماذج مؤسساتية» قادرة على امتصاص الصدمات الارتدادية وإعادة تشغيل نفسها ذاتياً.

أولاً: حزب الله.. من «الكاريزما» إلى «المأسسة»

رغم أن الإعلام الغربي يركز على الرمزية الدينية لشخصية القائد في حزب الله، إلا أن البنية الداخلية للحزب تطورت تاريخياً لتصبح منظمة تتبع معايير مؤسساتية صارمة.

القيادة الجماعية: يعتمد الحزب على «مجلس شورى» ومنظومات قرار لا تنحصر في فرد واحد، مما يجعل عملية انتقال السلطة وتفويض الصلاحيات تتم وفق بروتوكولات تنظيمية معدة مسبقاً.

التسلسل الهرمي المرن: أظهرت الاغتيالات المتتالية لكوادر الصف الأول أن الحزب يمتلك «مخزوناً كادرياً» قادراً على ملء الفراغ بسرعة قياسية، مما يحول دون انهيار الهيكل العسكري أو التنظيمي.

ثانياً: الجمهورية الإسلامية.. الدولة التي تعيد تشغيل نفسها

تعد إيران نموذجاً فريداً في تداخل المؤسسات (الدينية، العسكرية، والبيروقراطية). هذا التعدد في مراكز القوى، رغم ما قد يسببه من بطء أحياناً في اتخاذ القرار، يمثل «صمام أمان» للدولة ضد الانهيار المفاجئ.

دولة المؤسسات لا الأفراد: تقوم الدولة الإيرانية على منظومات متداخلة (مجمع تشخيص مصلحة النظام، مجلس الشورى، الحرس الثوري، والحكومة التنفيذية). هذا التشابك يجعل الدولة كياناً عابراً للأشخاص.

المرونة السياسية: تمكنت طهران من إدارة أزمات كبرى (مثل غياب الرئيس أو كبار القادة العسكريين) دون أن تهتز أركان النظام السياسي، مما يشير إلى وجود «عقل مؤسساتي» يدير الدولة بآلية «التشغيل الذاتي».

تقوم الدولة الإيرانية على منظومات متداخلة (مجمع تشخيص مصلحة النظام، مجلس الشورى، الحرس الثوري، والحكومة التنفيذية).

ثالثاً: مقتل الاستراتيجية الأمريكية-الإسرائيلية

إن «المقتل» الحقيقي في الحرب التي تشنها الولايات المتحدة وإسرائيل ليس في نقص المعلومات الاستخباراتية، بل في سوء تقدير طبيعة الخصم. فالتعامل مع إيران وحزب الله كـ «أشخاص» هو قصور في الفهم السوسيولوجي والسياسي لهذه الكيانات.

«إن استمرارية الكيان السياسي في لحظات الأزمات الكبرى لا تعتمد على قوة الفرد، بل على مدى تجذر القواعد التنظيمية داخل البنية.»

هذا الصمود ليس نتاجاً لتبجيل أيديولوجي فحسب، بل هو نتيجة مباشرة لامتلاك آليات مؤسساتية قادرة على إنتاج القيادة بدلاً من انتظارها. وهذا هو المكون الأهم في مقومات «الصلابة الاستراتيجية» التي تبديها الجمهورية الإسلامية وحلفاؤها.

رابعاً: نقد موضوعي.. تحديات المؤسساتية الصارمة

رغم نجاح هذا النموذج في البقاء، إلا أنه يواجه تحديات موضوعية:

البيروقراطية: قد تؤدي المؤسساتية المفرطة إلى بطء في المناورة السياسية أمام متغيرات دولية متسارعة.

الفجوة الجيلية: التحدي المستقبلي يكمن في مدى قدرة هذه المؤسسات على الحفاظ على نفس الزخم الأيديولوجي لدى الأجيال الشابة التي لم تعاصر مراحل التأسيس.

صراع الإرادات البنيوية:

لماذا تستهدف إيران «المؤسسة» الإسرائيلية بدلاً من «الأفراد»؟

«قطع الرأس» مقابل «تفكيك المفاصل»

كما ذكرنا بينما تنتهج إسرائيل استراتيجية «قطع الرأس» (Decapitation Strategy) عبر ملاحقة القادة والرموز، يبدو أن المحور الذي تقوده طهران قد استوعب درساً أعمق في فنون الصراع الحديث: إن الأشخاص عابرون، أما المؤسسات فهي الأركان التي يقوم عليها بقاء الدولة. من هنا، لم ينجرف

الرد الإيراني ورد حزب الله نحو «شخصنة» المواجهة، بل اتجه نحو استهداف «المؤسسة» الإسرائيلية في أبعادها الثلاثة: الاجتماعية، الاقتصادية، والعسكرية، في محاولة لتقويض قدرة الدولة على الاستمرار كمنظومة متكاملة.

أولاً: استهداف «المؤسسة الاجتماعية» (الحرب النفسية والنزوح)

تدرك طهران وحزب الله أن نقطة الضعف في الكيان الإسرائيلي ليست في غياب القائد، بل في اهتزاز «العقد الاجتماعي».

سيكولوجية الاستقرار: استهداف مناطق الجليل وحيفا وما بعدها لم يكن عشوائياً، بل استهدف «المؤسسة الاجتماعية»

عبر تحويل المواطن من «منتج» إلى «نازح» أو «لاجئ داخل وطنه».

تآكل الثقة: إن الضغط النفسي المستمر يهدف إلى ضرب ثقة المجتمع في مؤسسته الأمنية، وهو استهداف بنيوي أعمق بكثير من اغتيال مسؤول سياسي يمكن استبداله في انتخابات مبكرة.

ثانياً: استهداف «المؤسسة الاقتصادية» (الاستنزاف البنيوي)

بدلاً من التركيز على تصفية جنرالات، اتجهت الاستراتيجية نحو ضرب «شرايين الحياة».

تعطيل المرافق السيادية: استهداف الموانئ، حقول الغاز، والمنشآت الصناعية هو ضربة لقلب المؤسسة الاقتصادية.

كلفة البقاء: تحويل إسرائيل إلى بيئة طاردة للاستثمار ومكلفة جداً من الناحية التأمينية والعسكرية هو نوع من «التفكيك الهادئ» لركائز الدولة، حيث تُقاس الهزيمة هنا بمدى العجز في الميزانية وتراجع معدلات النمو، لا بعدد الجنائز العسكرية.

استهداف الموانئ، حقول الغاز، والمنشآت الصناعية هو ضربة لقلب المؤسسة الاقتصادية.

ثالثاً: استهداف «المؤسسة العسكرية» كبنية لا كأفراد

في الوقت الذي تفتخر فيه إسرائيل باختراق الهياكل التنظيمية واغتيال الكوادر، يركز الرد المقابل على استهداف «القواعد والقدرات»:

المراكز المعلوماتية واللوجستية: التركيز على ضرب قواعد الاستخبارات (مثل وحدة 8200) أو المطارات العسكرية هو استهدف لـ «الدماغ العملياتي» للمؤسسة العسكرية.

القدرة على التشغيل: الهدف هنا هو إخراج المنظومات (مثل الدفاع الجوي أو سلاح الجو) عن الخدمة أو استنزاف مخزونها، وهو ما يمثل شللاً للمؤسسة العسكرية يتجاوز أثر غياب أي قائد ميداني.

قراءة في «الدرس الإيراني»: تجاوز فخ الشخصنة

أثبتت التجربة أن إيران وحزب الله قررا عدم مجاراة إسرائيل في «لعبة الاغتيالات» كهدف نهائي. هذا التوجه يعكس نضجاً سياسياً يرى أن:

القادة يتكررون: في الأيديولوجيات العقائدية، يولد الفراغ القيادي حافزاً للتجديد، وهو ما تدركه إيران جيداً.

المؤسسة هي المقتل: إذا شُلّت المؤسسة الاقتصادية أو تصدعت المؤسسة الاجتماعية، فإن الدولة تنهار من الداخل حتى لو كان قادتها في أتم الصحة

«إن استراتيجية (ضرب المؤسسة) تعني الانتقال من تكتيكات الانتقام اللحظي إلى استراتيجية الاستنزاف الشامل التي تهدف إلى جعل كلفة استمرار الدولة أكبر من قدرتها على الاحتمال.»

خاتمة تحليلية:

موازين القوى الجديدة

إن نجاح إيران وحزب الله في الحفاظ على تماسك مؤسساتهما الداخلية رغم الضربات، مقابل تركيز ردودهما على «بنية الدولة» في إسرائيل، يضع الصراع في سياق جديد. إنه صراع بين «دولة استخباراتية» تبرع في صيد الأفراد، وبين «منظومات مؤسساتية» تبرع في استنزاف الكيانات.

في نهاية المطاف، قد يثبت التاريخ أن القدرة على «إعادة تشغيل الدولة» هي الضمانة الوحيدة للنصر، وأن استهداف «المؤسسة» هو الطريق الأقصر لتعطيل فاعلية أي نظام سياسي أو عسكري، مهما بلغت قوة أفراده.